



اللقاء: 01- حقّ تلاوته

المحاضرات

الأردن - عمان - مركز الكالوتي - برنامج آيات وتأملات

2022-02-12

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبيّنا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعقلاً مُتقبلاً يا رب العالمين.

أربع بشاراتٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إنّني سعيدٌ اليوم بوجودي بينكم في هذا المركز الأنيق والمُتميز إن شاء الله ثمرات عظيمة، وأسأل الله أن يكتب الأجر لكل من ساهم في إنشائه، ثم إنني أوّد أن أُبشركم بهذه البشارة في مُستهلّ حديثنا اليوم وهي حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول كما في الصحيح:

{ ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة،

وذكرهم اللهُ فيمَن عنده }

[رواه مسلم]

يتدارسون كلام الله، يتدبرونه، يُفسّرون آياته، يتحاضون على العمل به، يتدارسونه بينهم. أربعة أمور مُجمعة كل واحدةٍ منها كفيلة أن تدفعنا إلى حضور مجالس الدّكر ومجالس القرآن الكريم.



السَّكِينَةُ أَعْظَمُ عَطَاءِ إلهِي

الأولى: (نزلت عليهم السَّكِينَةُ): والسَّكِينَةُ أَعْظَمُ عَطَاءِ إلهِي، فالإنسان يسعدُ بالسَّكِينَةِ ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها ولو مَلَكَ كل شيء، قد تجد أناساً في القصور وعندهم من الدنيا ما عندهم، ونزعت منهم السَّكِينَةُ فما عادت كل الدنيا في أعينهم تُحَقِّقُ لهم شيئاً، وقد تجد إنساناً في كهف لكن السَّكِينَةَ في قلبه فيجد من سعادتها ما لا يجده المُتَرْفُونَ في قصورهم، وجد السَّكِينَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار يوم قال لصاحبه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا □ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى □ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا □ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

[سورة التوبة]

ووجدها يونس في بطن الحوت إذ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا قَطَنًا أَنْ لَنْ تُقَدِرَ عَلَيْهِ قَتَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)

[سورة الأنبياء]

ووجدها إبراهيم عليه السلام وهو في داخل النار يوم قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْنَا يَا نَارُ كُوبِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)

[سورة الأنبياء]

فأولاً: (نزلت عليهم السَّكِينَةُ، وعشيتهم الرِّحْمَةُ)، فمجالس القرآن تغشاها الرِّحْمَاتُ (وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) من كل حَيْبٍ وَضُوبٍ، تُحِيطُ بِهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ، يستمعون إلى مجالس القرآن ويحفظون من فيها.

(وذكرهم الله فيمن عنده) أنت اليوم إذا كنت في مجلس وقال لك أحدهم: أمس كنت مع فلان، وفلان إنسان له مكانة كبيرة في البلد، قال لك: كنت مع فلان وجاء ذكرك في المجلس، يتهلل وجهك وتساله فوراً ماذا حصل؟ ماذا قلت عنني؟ من سأل عنني؟ لَمَّا سَمِعَ اسْمِي مَاذَا قَالَ؟ لَأَنَّكَ ذُكِرْتَ فِي مَلَأٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فإذا استشعرت أنك يوم تكون في مجلس ذكر فإن الله يذكرك فيمن عنده في المَلَأِ الأعلى في المَلَائِكَةِ، يقول: عبدي فلان حضر مجلس الذكر، عبدي فلان كان يقرأ كتاب الله، عبدي فلان وفلان كانوا يتدارسون في مجلسي كلام الله تعالى، هذه أربع يَشَارَاتٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كيفية تلاوة القرآن حقّ تلاوته:

1- تلاوته وفق قواعد اللغة العربية:

ثم أيها الكرام أبدأ بموضوع هذا اللقاء وعنوانه: "حقّ تلاوته"، وهو مُستنبط من قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

[سورة البقرة]

وبعض النظر سواءً كانت الآية على قول من قال: إنها في أهل الكتاب، أو على قول من قال: إنها في المؤمنين عامة، فنحن أيضاً لنا كتاب، وينبغي أن نتلوه حقّ تلاوته. ما معنى (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)؟ ابن عباس تَرْجَمَانِ الْقُرْآنَ وَخَيْرُ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: (يتلونونه حقّ تلاوته أي يتبعونه حقّ اتباعه) لأن تَلَاهُ أي مشى وراءه، تَبِعَهُ، تَلَاهُ، فيتلونونه أي يتبعونه حقّ اتباعه.

أريد في هذا المجلس المبارك أن نصل إلى هذه النقطة، كيف نتبعه حقّ اتباعه؟ ما الأمور الواجب أن نفعلها لنصل إلى (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

[سورة البقرة]

أولاً في حقّ التلاوة أن نتلو القرآن وفق قواعد اللغة العربية.

أولاً: القرآن أنزل بلسان عربيّ مبين قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)

[سورة يوسف]



أكثر اللغات فُدرَةً على التعبير

فأوسع مدّج صوتي في اللغات هو اللغة العربية، لذلك هي أكثر اللغات فُدرَةً على التعبير، لذلك اختارها الله تعالى لبيان وكلامه، لا تستطيع في أي لغة أن تُعبّر التعبير القرآني أبداً إلا اللغة العربية، مثلاً مرة سألت أختاً كريماً مَدْرَسَ لغة إنكليزية، قلتُ له: أريد أن تُترجم لي هذا المقطع من الآية، آية في سورة البقرة:

إذا كان الإنسان جاهلاً باللغة أو بالقرآن لأننا - سأتكلّم بعد قليل - لسنا علماء باللغة، لكن سبحان الله القرآن يُقوّم اللسان، فلو أن إنساناً لا يعرف القرآن الكريم فقرأ إنما (يخشى الله من عباده العلماء)، فجعل الله هو الذي يخشى العلماء، هذا كُفّر، والمعنى الصحيح: العلماء يخشون الله. إذا: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)**. قدّم المفعول به على الفاعل.

الآية الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

[سورة البقرة]

من الذي ابتلى؟ الله هو الذي يمتحن، من المُبتلى؟ المُمتحن إبراهيم. **(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ)** وليس (وإذ ابتلى إبراهيم) يختلف المعنى كلياً، يعكس المعنى تماماً ولا يستقيم. أردت من هذين المثالين أن أوضح أهمية أن تكون القراءة وفق قواعد اللغة العربية، هذا مهم جداً.

2 - قراءته وفق أحكام التجويد:

حق تلاوته أولاً: وفق اللغة، ألا يرقع منصوباً أو ينضب مرفوعاً أو يكسر مضموماً أو يضم مكسوراً، ينبغي أن تأتي القراءة وفق القواعد اللغة. الأمر الثاني: وفق أحكام التجويد، وهذه أقول ما أمكن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

[سورة البقرة]

لا أريد أن أشقّ عليكم ولا على المسلمين، الأصل أن يُقرأ القرآن وفق أحكام التجويد، أي إدغام، إقلاب، إخفاء، إظهار، مد طبيعي، مد مُتصل.



التجويد في اللغة هو التّحسين

التجويد في اللغة هو التّحسين، جودت الشيء حسنته، جعلته جيداً، وتحسين القراءة أي أن تُعطي كل حرفٍ حقه مخرجاً وصفةً.

أي (الهاء) من الخلق، نصل للشفتين (الباء والميم) فكل حرف له مخرج، وكل حرف له صفة، هناك حرف يُفخّم وحرف يُرقّق، فلا يجوز أن أرقّق المُفخّم أو أفخّم المُرقّق، يصبح اللفظ غير سليم، غير مُستشاع، فكل إنسان قدر ما يستطيع ينبغي أن يتعلم أحكام التجويد، أي يُلم ببعضها على الأقل.

أريد أن أقرأ آية لتتعلم معاً كيف أن أحياناً أحكام التجويد مهمة أيضاً لفهم المعنى، هذه الآية التي على الشاشة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَلِيًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِغًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

سأفروها بالتجويد، أي بتحسين الصوت وأن أعطي كل حرف حقه.

انظر التصوير الفني في القرآن، الآية تضرب مثلاً، الكافر المُنحرف عن منهج الله البعيد عن الله، كافر، كقر بمنهج الله، هذا الرجل عَمَلَهُ يشبه ماذا؟ يضرب مثلاً للعربي بالصحراء، الذي يعيش في الصحراء يعرف معنى السراب، نظر من بعيد وكأنه وجد بركة ماء، هي سراب، هي انعكاس الشمس على الرمل، من بعيد كان هناك ماءً. (بِقِيَعَةٍ) هي الصحراء .

(يَحْسِبُهُ الطَّمَانُ مَاءً)، من شدة عطشه يرى كل شيء ماءً، (يَحْسِبُهُ الطَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا) وصل لم يجد شيئاً، انظر إلى المُدود كيف أعطت الرحلة الطويلة من أجل الوصول إلى الماء، المدود، (يَحْسِبُهُ الطَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) راكضاً، المُدود هي تجويد، لكن هي تُعَبِّرُ عن معنى، وكأنه بهذه الصحراء يركض، وعندما وصل لم يجد شيئاً، جاء الأخذ السريع بعد الإمهال الطويل، لم يعد هناك مد، (لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قَوْفَاهُ جِسَابًا)، قطع، هو يظن أنه سجد الماء ووجد العقوبة من الله عز وجل، لأن عمله لم يكن لله تعالى وإنما كان لدنيا يُصِيبُها أو امرأة ينكحها.

فهنا التجويد والتحسين أدى معنى وليس فقط تجويد القرآن، لذلك أَحْتَكُمُ وَأَحْتُ نفسى على أن نُكَيِّرُ من تلاوة القرآن لتتعلم أحكامه.

أهمية الاستماع:



اللغة تبدأ بالاستماع

إذاً أولاً: القراءة وفق قواعد اللغة العربية، ثانياً: القراءة وفق قواعد التجويد ما أمكن ذلك، وهذان الشيطان القراءة وفق قواعد اللغة العربية ووفق علم التجويد يحتاجان بشكل أساسي إلى الاستماع، لعل منكم من يُجِدُ ما شاء الله أفضل بكثير، لكن أنا أتحدث بشكل عام للجميع، اللغة تبدأ بالاستماع، يوم يُكثِرُ من الاستماع تتحسن قراءته بشكل أوتوماتيكي، أي لتتعلم لغة إنكليزية ماذا نفعنا أولاً؟ نستمتع، نستمتع ثم ننتقل، فعملياً الأمران الأولان، الخطوة العملية فيهما أن نُكثِرُ من الاستماع، سابقاً كنت تحتاج إلى شيخ مُتَفَرِّغٍ وتجلس معه في المسجد، اليوم تفتح اليوتيوب وتختار قارئاً مُتَمَكِّناً بالتجويد من السابقين مثل الشيخ محمود خليل الحصري قراءته مُتَقَنَةٌ، ومن الحاضرين مثل الشيخ أيمن السويد حفظه الله وغيرهم من العلماء، عبد الله بصقر، اسمع التلاوة وشيئاً فشيئاً يستقيم لسانك من غير أن تشعر، القرآن يُعَلِّمُنَا، يُقَوِّمُ أَسْتَيْنَا، فثانياً وفق قواعد علم التجويد.

3 - فهم المعنى:

ثالثاً: أن تفهم المعنى (حَقَّ يَلَاوِيهِ).

أولاً: وفق العربية، ثانياً: وفق التجويد ما أمكن، ثالثاً: أن نفهم المعنى، لأننا إذا لم نفهم المعنى لا نستطيع أن نلتزم بما في القرآن الكريم، وهنا أَحْتُ كل إنسان أن يكون في كل بيته كتاب تفسير مختصر، ليس تفسير الطبري أو الفرطبي، لا، كتاب تفسير مختصر، كلمات القرآن ل (حسين مخلوف) أو (السعدي) له تفسير مختصر، شيخنا الدكتور راتب النابلسي له تفسير مختصر، هناك الكثير، كتب بتفسير المختصر، الصفحة على يمينها كلمة آيات، الكلمات الصعبة أو الأمور الصعبة.

القرآن الكريم سهل، ربنا عز وجل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17)

فأكثر ما فيه تقرؤه فتفهمه، وربنا عز وجل حفظ العربية بالقرآن.

الآن انظر إلى الشعر الجاهلي تقرأ أحياناً لا تفهم الشعر الجاهلي لأنه صعب، القرآن ما جاء بكلمات صعبة، وإنما بكلمات سهلة، تقرأ لامرئ القيس:



القرآن حفظ عَرَبِيَّتَنَا

مثلاً، اللغات السابقة مثل اللغة الإنكليزية، الآن الذي يقرأ الأساطير القديمة باللغة الإنكليزية لا يفهم عليها باللغة الإنكليزية الحديثة أبداً لأنها تغيرت، لأنها لم تُحفظ، القرآن حفظ عَرَبِيَّتَنَا، لكن بالكلمات اللطيفة السهلة، فمُعظم ما في كتاب الله تقرأه وتفهمه، لكن تحتاج أحياناً بعض الكلمات، بعض التوجيهات، فلا بد أن يكون لك مصحفٌ عليه تفسير لطيف لمعاني القرآن.

سأضرب مَثَلَيْنِ على التفسير كيف أنه مهم جداً، فهم المعنى مهم جداً، لن أتى بكلمات صعبة وأفسرها سوف أضرب مَثَلَيْنِ في العُمُق. الآية الأولى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)

[سورة المؤمنون]

هذه في سورة المؤمنون، إنسان يقرأها: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قرأتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ سألتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ، قالت عائشة: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخمرَ ويسرفون؟ قال: لا يا بنتَ الصَّديقِ، ولكنَّهم الذين يصومون ويصلون وينصدِّقون، وهم يخافون ألا يُقْبَلَ منهم، أو لِيَكَّ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }

[الترمذي]

شخص - والعباد بالله - يرتكب الكبائر فهو خائف، قلوبهم وجلة، وجلة أي خائفة (أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) فقالت: (أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخمرَ ويسرفون) هؤلاء هم المعنويون في الآية؟ انظروا ماذا قال صلى الله عليه وسلم: (قال: لا يا بنتَ الصَّديقِ)، طبعاً أراد من ذلك أن يُعَابِثَهَا عِتَاباً رقيقاً، أي ابنة الصديق لا ينبغي أن تفهم هذا الفهم، هذا لطيف، كأن تكون مثلاً مع شخص تعرف والده، ووالده إنسان له مكانة كبيرة، فتنتظر للولد فتراه يصنع شيئاً لا ينبغي أن يصنع بكلمة سيئة، تقول له: أنت ابن فلان أنتبه لنفسك، تُذَكِّرُهُ بوالده، فقال بكل لطف صلى الله عليه وسلم: (قال: لا يا بنتَ الصَّديقِ، ولكنَّهم الذين يصومون ويصلون وينصدِّقون، وهم يخافون ألا يُقْبَلَ منهم)، (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) ليس من الكبائر، من الطاعات، لكن رغم أنه يأتي ما أتى من الطاعات يقول: يا رب تقبل لعل عملي قَصُرْتُ به، لعلني لم أكن مُخلصاً به كما ينبغي (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) فهؤلاء يمدحهم الله تعالى، والله لم يمدح في سورة المؤمنون أقواماً يرتكبون الكبائر وهم خائفون، فَيَبِّينُ لَهَا المعنى.

إذاً المعنى مهم جداً فهمه حتى أستطيع أن أنتقل إلى الخطوة التي بعدها وهي المفضليَّة في الموضوع.

آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

[سورة الأنعام]

قال: لَمَّا تَرَكْتَ هَذِهِ آيَةَ شَقِّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، أَيْ حَتَّى يُحَقِّقَ الْإِنْسَانُ الْأَمْنَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آمَنًا وَلَمْ يَلْبَسْ أَيْ لَمْ يَخْلُطْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ. إِذَا نَظَرَ مُسْلِمٌ نَظْرَةً لَا تَنْبَغِي، هَذَا ظُلْمٌ، صَاحِبٌ؟ وَإِذَا قَالَ كَلِمَةً لَا تَنْبَغِي ظُلْمٌ. وَإِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْفَجْرِ ذَاتَ يَوْمٍ ظُلْمٌ، فَكَلَّمَهُ ظُلْمٌ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، الْأَمِنْ ذَهَبَ، (أَوْلَيْكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) الْأَمِنْ فَقَطْ لِهَؤُلَاءِ، نَحْنُ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، كُلُّ إِنْسَانٍ يَتَّهَمُ نَفْسَهُ بِالظُّلْمِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا تَرَكْتَ هَذِهِ آيَةَ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمِ شَقِّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مَا هُوَ الشُّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِطُّهُ {يَا بُنَيَّ لَا

شُرْكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] }

[البخاري]

فالمقصود (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)، ليس المقصود بمعصية فكأننا ذو خطأ وإنما المقصود وَلَمْ (يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ)، إيمان خالص لوجه الله تعالى، ليس فيه أي شرك.

إذا فُهِمَ المعنى مهم جداً حتى إذا قرأ يستطيع أن يُحدِّد نفسه أين هو من هذه الآية، وهنا أنتقل إلى الرابعة.

4 - تدبر آياته:

قلنا (تَلَوْتُهُ حَتَّى يَلَاؤِيهِ): أولاً: وفق قواعد اللغة العربية.

ثانياً وفق علم التجويد ما أمكن.

ثالثاً: تفهم المعنى.

رابعاً: تَدَبَّرْ، ما هو الفهم والتدبر؟ الفهم هو التفسير، من التفسير والكشف والإبانة، قَسَرَ عَنِ الشَّيْءِ كَشَفَ عَنْهُ وَأَبَاتَهُ، أَيْ أَنْ نَحَاوِلُ أَنْ نَفْهَمَ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ آيَاتِهِ، مِنْ خِلَالِ الرَّسْمَةِ مِثْلَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا هُمَا، مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَهْمَةً جَدًّا، مِنْ خِلَالِ أَسْبَابِ النُّزُولِ أَحْيَانًا نَفْهَمُ الْمَعْنَى، وَالْآنَ بَوجِدِ تَفَاسِيرٍ كَثِيرَةٍ وَدُرُوسٍ كَثِيرَةٍ نَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ نَفْهَمَ الْمَعْنَى.



التدبر هو النظر في عواقب الأمور

لكن لا يكفي، بعد فهم المعنى ينبغي أن تتدبر، كيف تتدبر؟ التدبر باللغة هو النظر في عواقب الأمور، تدبر أمره: نظر في عاقبته، نحن دائماً نتدبر، كيف نتدبر؟ مثلاً، مثال لتغيير الجو، كانت الناس في دمشق تخرج إلى بيروت، كان هناك أشياء كثيرة غير موجودة بدمشق فحضرها من بيروت عن طريق التهريب، كان يوجد حصار في الثمانينيات على سوريا، والآن عاد الحصار، نسأل الله أن يُزِيلَ الْعَمَّةَ، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ لِبَيْرُوتَ، تَرَى الْخَطَّ الْعَائِدَ، هُمْ أَمَامَ بَعْضِهِمْ، فَالْعَائِدُونَ مِنْ بَيْرُوتَ هُنَاكَ تَفْتِيشُ دَقِيقَ جَدًّا، أَيْ لَا يَسْمَعُونَ بِدُخُولِ أَيْ شَيْءٍ، كُلُّ شَيْءٍ سَوْفَ يُدْفَعُ عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ أَوْ يَعُودُ، وَأَنْتَ ذَاهِبٌ وَفِي بَالِكَ أَنْكَ تَرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ بَعْضَ الْأَعْرَاضِ وَتَعُودُ، عِنْدَمَا تَرَى الْخَطَّ الْعَائِدَ مَا يَحْدُثُ لَهُمْ تَدَبُّرٌ عَاقِبَةٌ أَمْرًا. يَكُونُ فِي بَالِكَ مِثْلًا شَرَاءَ خِلَاطٍ مَوْلِينَكْسَ تَبَدَّلَ رَايَكَ، لَا أَرِيدُهُ، أَرِيدُ أَنْ أَحْضَرَ فَرَامَةَ كَبَّةٍ لَا أَرِيدُهَا، لَا يَسْمَعُونَ بِإِدْخَالِ أَيْ شَيْءٍ، الْأَمْرُ صَعِبُ الْيَوْمِ، الصَّابِطُ الْمَسْئُولُ صَعِبٌ، فَتَدَبَّرْ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ.

المؤمن يتدبر عاقبة أمره دائماً، كلما أراد أن يفعل شيئاً يقول: هل ستمر معنا؟ لا نثر هذه أمام رب العالمين، هناك لقاء مع ربنا عز وجل، العودة صعبة لا نريد، تأتيه صفقة فيها مُحَرَّرَاتٌ يَقُولُ لَكَ: وَاللَّهِ أَرَبَاجِهَا عَالِيَةٌ، لَكِنْ لَا تَمُرْ، هَذَا تَدَبُّرٌ، الْإِنْسَانُ يَتَدَبَّرُ، يَنْظُرُ لِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، غَيْرَ الْعَاقِلِ يَفْعَلُ مَا يَحْلُو لَهُ، يَقُولُ مَا يَحْلُو لَهُ، ثُمَّ يُفَاجَأُ بِالْمُصِيبَةِ أَمَامَهُ، لَا يَتَدَبَّرُ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، فَالتَّدَبُّرُ هُوَ النَّظْرُ دَائِمًا فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.

تدبر القرآن الكريم من أروع ما قرأت فيه، أن أسأل نفسي عندما أقرأ الآية: أين أنا من هذه الآية؟ ربنا يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ثلاث وثمانون آية، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) من الذين آمنوا؟ أنا وأنت، ما الذي يريد الله تعالى مِنِّي؟ يريد شيئاً فاستمع، هذا يسمونه: شعور التلقّي للتنفيذ الفوري، عندما نقرأ القرآن كيف نقرؤه بأي شعور؟ شعور التبرُّك؟! ممتاز، القرآن بركة، بالشفاء؟ شفاء، أحسستم، لكن أعظم شعور نقرأ به كتاب الله مع كل هذه الأمور هي أن نقرأه بشعور التلقّي للتنفيذ، معنى عندما أسمع الآية هذه لي أنا؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّونَ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مِثْلًا مِّثْلًا فَكْرَهُنَّ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

[سورة الحجرات]

معنى ذلك يجب أن أشبه على نفسي أن أظن كثيراً ظن السوء بالناس، (كثيراً مِنَ الظَّنِّ) بعض الظن مسموح ولكن أكثره ممنوع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

[سورة الحجرات]

ربنا يقول لي: لا تسخر، عندما تكون في مجلس وتتكلم على شخص وتسخر منه، ينبغي أن أفهم أن هذه الآيات موجهة لي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)

[سورة المائدة]

يُخاطبني أن أكون قَوَّامًا لله شاهداً بالقسط، بالعدل، ألا أظلم، إلى آخره، فهذا شعور التلقّي للتعدي. عندما أقرأ في كتاب الله تعالى التَّذَبُّرُ أن تسأل نفسك: أين أنا من هذه الآية؟ أنا أين؟ أنا من؟ الله يتحدث عن المنافقين، هل أنا عندي صفة من صفات المنافقين؟ انتبه. يتحدث عن المؤمنين، أين أنا من هؤلاء بعيد أم قريب إن شاء الله أم منهم؟ وهكذا.

قصة الأحنف بن قيس مع آيات القرآن الكريم:

سأضرب مثلاً، الأحنف بن قيس أحد الرجال الصالحين والتابعين قال: كان جالساً يوماً فجال في خاطره قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَعَدُوًّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

[سورة الأنبياء]

(فِيهِ ذِكْرُكُمْ) فيه علو شأنكم، نحن ما الذي رفع ذكرنا؟ القرآن، العرب كانوا أمّة يتقاتلون، لكن عندهم صفات جيدة، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إنما بُعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ }

[الإمام أحمد والبخاري]

عندهم بعض الأخلاق الحميدة لكن غير مُرَشَّدة، غير مُوَطَّعة، كان عنتره يقول:
العرب كان عندهم عِفة و طهارة، لكن الأخلاق غير مُرَشَّدة، فجاء الإسلام و وَجَّهها لِأَتَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.



في القرآن الكريم نماذج تنطبق علينا

لكن عموماً بالمَحَصَّةِ داجس والغبراء من أجل ناقة تقوم الدنيا ولا تقعد، وفوضى جنسية، وفوضى مالية، وربما، جاء الإسلام فنقلنا من رُعايَا للغنم إلى قاديَ للأمم، فهذا (فيهِ) **ذِكْرُكُمْ** أي فيه رَفَعْتُكُمْ، فيه عَزَّكُمْ، لكن فيه معنى آخر فهمه الأحنف بن قيس جميل جداً: (فيهِ ذِكْرُكُمْ) أي إذا قرأ القرآن أجد بلاياً في القرآن؟ نعم، تجد بلاياً في القرآن، ولكن ليس بالاسم، القرآن لن يذكر أسماءنا، سيذكر نماذج تنطبق علينا، أرى نفسي في القرآن، ذكرى موجود في القرآن.
فالأحنف بن القيس قال: عليّ بالمصحف لالتيمس ذكرى، أعطوني المصحف حتى أبحث عن نفسي أين أنا في كتاب الله، ومن أشبهه، قَمَّرَ بقوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَيَالْأَسْحَارَ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْزُومِ (19)

[الذاريات]

يقرأ عن قوم ومتر بقوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُتَفَفُّونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)

[سورة آل عمران]

ومتر بقوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجَنِّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)

[سورة الحشر]

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أي الفقر.

ومتر بقوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنَّمِ وَالْقَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفُرُونَ (37)

[سورة شوری]

فقال - ولعله قالها تواضعاً وهو من التابعين -: اللهم لست أعرف نفسي مع هؤلاء، أنا لست منهم، هؤلاء أقوام سابقون، تابع القراءة، قال: ومَرَّ بقوم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)

[سورة الصافات]

والعباد بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِنْمِ □ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (206)

[سورة البقرة]

ومَرَّ بقومٍ يقال لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (42) قَالُوا لَمْ تَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ تَكُ تَطْعَمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا تَحُوضُ مَعَ الْخَائِصِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ
الدِّينِ (46) حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ (47)

[سورة المدثر]

فقال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء، أنا لست من هؤلاء، يعرف نفسه، هؤلاء شاردون عن الله. ثم مَرَّ بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ □ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (102)

[سورة التوبة]

فقال: اللهم أنا من هؤلاء، وجدُّت نفسي، وجد ذكره في كتاب الله، ممن خلطوا الأعمال الصالحة بالسئنة، طبعاً ليس القصد، كلنا نسأل الله أن يعفو عنا ممن خلط، ونسأل الله أن يتجاوز عن السيئات ويكثر الحسنات، لكن القصد عندما نقرأ كتاب الله يجب أن نقرأه بهذا الشعور، نتدبّر المعنى، هل تنطبق عليّ؟

في بداية سورة البقرة ربنا عز وجل ذكر المؤمنين بخمس آيات، والكافرين بآيتين، والمنافقين بأربع عشرة آية.

الصفات في سورة المؤمنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)

[سورة المؤمنون]

صفحة، اثنتان، ثلاث، الذين هم والذين والذين.. كم صفة من هذه الصفات تنطبق علي؟
سورة المعارج، وصف المؤمنين أيضاً بآيات، فالقصد أن تتلو القرآن تدبراً، أين أنا من هذه الآية؟

5 - نقله على واقع الحياة تطبيقاً وعملاً:

أخيراً في حق تلاوته: أن تنقله إلى واقع حياتك تطبيقاً وعملاً، تُجِلُّ حلاله وتُحَرِّمُ حرامه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)

[سورة الأنعام]

الآية في المحور الرابع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)

[سورة ص]

هنا: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) اتباع، أي أن تنقله من السطور إلى الصدور إلى واقع الحياة، أن يصح القرآن في واقع حياتنا، نعيشه، نُجِلُّ الحلال وتُحَرِّمُ الحرام، نهى عن شيءٍ ننهي عنه، أمر بشيءٍ نأتمر به.

المحاور الكبرى في القرآن الكريم:

1 - التعريف بالآمر:

المحور الثاني في هذا اللقاء الطيب الموضوعات الرئيسية في القرآن الكريم، طبعاً نحن إن شاء الله في كل لقاء، أي كل خمسة عشر يوماً إن شاء الله إن تيسر الأمر تدبر شيئاً من كتاب الله، لكن الآن مقدمة.

القرآن الكريم فيه محاور كبرى، قَسَمْتُهَا اجتهاداً إلى ثلاثة محاور، أظن أن أي آية في القرآن ستندرج تحت محور من هذه المحاور الكبرى، أظن ذلك.

المحور الأول هو التعريف بالآمر: تعريف بالله، أي آية كونه تقرأها بالقرآن هدفها التعريف بالآمر، عندما تقرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَسَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْتَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)

[سورة البلد]

هذه لماذا؟ لتعرف على الله الذي خلق، عندما تقرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبِي الْآبَاتِ وَالنُّدُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)

[سورة يونس]

هذه للتعريف بالله. عندما تقرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَتَا صَبَبًا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ سَقَفْنَا الْأَرْضَ سَقًّا (26)

[سورة عبس]

هذه للتعريف بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَايُنُّ مِنْ آتِيهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)

[سورة يوسف]

هذه للتعريف بالله.

ألف ومثا آية في القرآن الكريم عن الكون والحياة والنفس تتكلم عنك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)

[سورة الذاريات]

هذه كلها للتعريف بالله حتى يعظم الله في قلبك، هذا المحور الأول، التعريف بالآمر، وهذا أهم محور في القرآن، أن تعرف الله، عندما تقرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)

[سورة الإخلاص]

هذا تعريف بالآمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذُرُّكُمْ فِيهِ ۖ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
(11)

[سورة شورى]

تعريف بالآمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
(255)

[سورة البقرة]

تعريف بالآمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)

[سورة الحشر]



إن عرفت الأمر يادرت إلى تطبيق أمره

تعريف بالآمر. يُعْرِفُكَ بذاته لأنك إن عرفتَه بادرَت إلى تطبيق أمره، مستحيل أن تعرفه ولا تُطبق أمره.

سأضرب لكم مثلاً: في بلد من البلاد جاءتكم رسالة مكتوب فيها: يوم الثلاثاء الساعة الثامنة صباحاً تفضل إلى مؤسسة البريد، عندك رسالة يجب أن تستلمها، رسالة عند الباب أخذتها، ممكن أن تذهب الثلاثاء الساعة الثامنة، أو الثلاثاء الساعة التاسعة، أو الثلاثاء الساعة العاشرة، وممكن أن تؤجل الموعد من الثلاثاء إلى الأربعاء، وممكن ألا تذهب أبداً تعتقد أن الأمر بسيط، رسالة معايدة من صديقي بالأرجنتين، يرسل معايدة كل سنة في رمضان، لن أذهب.

تأتيك رسالة بنفس الورقة بنفس الحجم بنفس الكلمات، يوم الثلاثاء الساعة الثامنة يجب أن تكون عندنا بالمركز القلاني وتوقيع العميد القلاني، قبل يومين لا تنام الليل، أنا ماذا ارتكبت؟ لماذا طلبوني؟ ماذا يريدون مِنِّي؟ ما الذي اختلف بين الرسالتين؟ الأمر، المُوقِع أدناه، الأمر اختلف.

عندما يعظم الأمر في قلبك تُبادر إلى تنفيذ أمره، الله يأمر، سيدنا بلال يقول: (لا تنظر إلى صعر الدَّبِّ ولكن انظر من عصيت) القضية ليست قال: لا تفعل، فلم أفعل، القضية هي من الذي قال؟ الذي قال الخالق، الخبير، العظيم، الذي خلقك ورزقك، الذي كل شيء بيده، هو الذي قال، فالقضية ليست في الأمر يقدر ما هي في الأمر.

فالقرآن الكريم يفيض في الحديث عن الأمر، آلاف الآيات في القرآن تتحدث عن الأمر، عن الله، إما بشكل مباشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)

[سورة الإخلاص]

أو بشكل غير مباشر يلفت نظرك إلى خَلْفِهِ لَتَسْتَدِلَّ من خلال خَلْقِهِ على عظمته و وحدانيته وكماله.

2 - معرفة الأمر:

المحور الثاني هو الأمر والنهي، الأمر افعل والنهي لا تفعل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ يَدِّينَ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ (282)

[سورة البقرة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَعْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّغُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِعَاقِبَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1)

[سورة الطلاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

[سورة الحجرات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ ۚ يَسِّرَ الْإِسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَفْعَلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

[سورة الحجرات]

3 - نتائج المعرفة بالآمر وبالامر:

المحور الثالث هو النتائج أي الوعد والوعيد، الجنة والنار، أي إذا عرفت الله والتزمت بأمره ماذا يحصل؟ وإذا قصرت الإنسان في معرفة الله أو في تنفيذ أمره ماذا يحصل؟ هنا تأتي مشاهد الجنة والنار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
(73)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَنُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

[سورة الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حُدُودُهُمْ قُلُوبُهُ (30) ثُمَّ الْحَجِيمَ صَلْوَهُ (31)

[سورة الحاقة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15)

[سورة الذاريات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ (54) فِي مَعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (55)

[سورة القمر]

هذا يُخَدِّكُ عَمَّا سَيَأْتِي، إذا التزمت ماذا سيحصل معك في المستقبل، وبصوّر لك المشهد وكأنك تراه بعينك، تقرأ الآيات كأن المشهد أمامك، (وَسَبِقَ الَّذِينَ أَنْعَمُوا) كيف الوقوف بين يدي الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاتَلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُرْدِينَ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (57) أَفَمَا تَحْنُ بِمَتَّبِعِينَ (58)

[سورة الصافات]

إلى آخره.

إذاً المحور الأول هو التعريف بالآمر، والمحور الثاني هو التعريف بالأمر، والمحور الثالث هو نتائج المعرفة بالآمر وبالأمر.

قصة تلخص الكلام السابق:

آخر شيء أجابنا الكرام هناك قصة تُلخّص الكلام الذي قلته جميلة جداً.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَقَرَّ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُتِرَ فَلْيَتَقَرَّهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَيْدٍ }

[سنن ابن ماجه]

الذي هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، هذا الرجل كان حُبّه للقرآن عجباً، كان يعيش للقرآن في واقع حياته.

مرّة سيدنا عمر بن الخطاب في الليل رأى من بعيد ركباً، الليل حجب الرؤية لكن عَلِمَ أن هناك ركباً حبيهم الليل، فقال: نأديهم قال لأحد الرجال صوته عال نأديهم من أين القوم؟ فنادى من أين القوم؟ فأجابوه من القحّ العميق، فقال: سلّهم إلى أين تريدون؟ فسأل إلى أين تريدون؟ فقالوا: البيت العتيق، فقال عمر رضي الله عنه: إن فيهم لعالمياً (هذه الإجابات من القحّ العميق إلى البيت العتيق، هذا شخص قارئ قرآن يعلم ما يتحدث)، فقال نأديهم دعنا نتعلم والصحراء تُرسيل الصوت، فقال: نأديهم أي القرآن أعظم؟ فنادى الرجل أي القرآن أعظم؟ فأجابوه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

[سورة البقرة]



يوجد إحسان فوق العدل

هذه أعظم آية في كتاب الله، نتحدث عن الذات العليّة عن الله جلّ جلاله، قال نأديهم أي القرآن أحكم؟ فقال: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى، ربنا عز وجل لا يأمر بالعدل فقط، بل بالإحسان أيضاً، أي إذا كان هناك شخص أساء لك العدل أن تُردّ إساءته لكن الإحسان أن تغفو عنه، فلا تُحلّ كل المشاكل بالعدل، يقول لك: هذا حقّي أريد أن أخذه، يوجد إحسان فوق العدل، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى. قال: نأديهم أي القرآن أجمع؟ أي كلمات قليلة تُعبّر عن معنى عظيم، عبارة مختصرة موجزة عظيمة، أي القرآن أجمع؟ فسمعوهم يقولون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

[سورة الزلزلة]

هذه أجمع آية في كتاب الله، فقال: نأديهم أي القرآن أخوف؟ أكثر آية مخيفة، فنأداهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ □ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْر بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرًا (123)

[سورة النساء]

الَّذِينَ لَا يَجِدُ فِيهِ تَمَنِّيَاتٍ، تُخَطِئُ فُحَّاسِبَ قَالَ: نأديهم أي القرآن أرجى؟ فيه رجا، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

[سورة الزمر]

فقال: نأديهم أفيكم عبد الله بن مسعود؟ تلك الإجابات لا يأتي بها إلا عبد الله بن مسعود، فنأدي: أفيكم عبد الله بن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم. كانت إجابات عبد الله بن مسعود.

{ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرّة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ عليّ القرآن؟ قلت: يا رسول الله كيف أقرأ عليك وإنما أنزل عليك؟- استحيا سيدنا عبد الله بن مسعود - قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري {

أنت أحياناً تقرأ تقول لنفسك أحبُّ أن أسمع بصوت من الحرم، يحبُّ الإنسان أن يسمع:

{ قال: فافتتح سورة النساء فقرأ عليه فلما بلغ { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41] } قال: نظرتُ إليه وعيناه تدرقان {

[صحيح البخاري والترمذي]

لَقَا استشعر النبي صلى الله عليه أن الله عز وجل يُخاطبه بأنه سيأتي به يوم القيامة شهيداً على أُمَّته، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا (42)

[سورة النساء]

فعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان قارئاً للقرآن بشعور التلّقي للتنفيذ وبشعور الحب.
أول آية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

[سورة البقرة]

هذه المحور الأول، التعريف بالآمر. الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

[سورة النحل]

(إِنَّ اللَّهَ) الذي عرفته، تعريف بالآمر، (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) اتبه، هذا المحور الثاني، محور الأمر والنهي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

[سورة الزلزلة]

هذا المحور الثالث، النتيجة، هذه المحاور الأساسية في القرآن.

العلاقة بين الأمر والآمر:

قبل أن أختم أريد أن أُبين كيف الأمر والآمر والعلاقة بينهما.

لَمَّا قَالَ سَيِّدُنَا مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۚ قَالُوا أَتَشِدُّنَا هُرُورًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

[سورة البقرة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ □ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا قَارِصَ وَلَا يَكْزُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ □ فَاذْعُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّنَا
يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْثُهَا □ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسْرُّ النَّاطِرِينَ (69)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ □ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ
(71)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً □ قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوجًا □ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ (67)
[سورة البقرة]

لا يريدون أن يُذَّذُوا، لا يعرفون الأيمر.
سيدنا إبراهيم قال لابنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى □ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ □ سَتَجِدُنِي إِِنْ
شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)
[سورة الصافات]

لم يقل: إن الله، بل (إِنِّي أَرَى)، طبعاً هو أمر من الله لأنه رؤيا الأنبياء حق، لكن هنا هوَئِذَا عليه، قال: إِنِّي أَرَى، تتكرر الرؤيا، (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ). هناك ذبح بقرة وتردُّدوا، هنا قال: سأذبحك، فقال له: اذبح، هذا الفرق بين من يعرف الله فيبادر إلى تنفيذ أمره، وبين من لا يعرفه فيتقنن ليتنقل من أمره.

والحمد لله رب العالمين